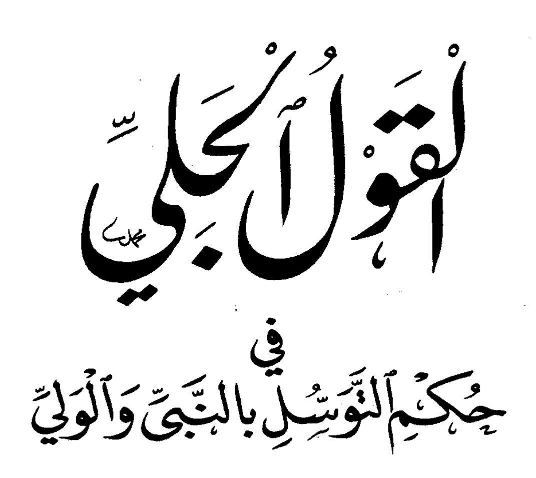


للشيخ العلامة
محمد عبد السلام الشقيري

منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها أشرف حجازي

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

رقم الايداع : ٤٣١٥ / ١٩٩٨
طبع بدار نوبـــار للطبـاعـة



مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ،ناصية شارع الجمهورية،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TL.THRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد [1] * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا [2] أحد ﴾ [الإخلاص : ١ - ٤] ﴿ الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل [3] وكبره تكبيرًا ﴾ [الإسراء : ١١١] الذي ﴿ له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى[4] ﴾ [طه : ٦] القائل : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾ [فاطر : ٢] ﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء * يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء

(١) الصمد : السيد ، لأنه يُصمد إليه في الحوائج ، أي . يُقصد : يقال : صمده من باب نصر ، أي : قصده . اهـ مختار .

(٢) كفوًا : أي ولم يكن له أحد يكافئه ، أي : يماثله من صاحبة أو غيرها . اهـ بيضاوي .

(٣) ولي : يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته . اهـ بيضاوي .

(٤) الثرى : التراب النديّ .

الذكور * أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا[1] إنه عليم قدير ﴾ [الشورى : ٤٩ - ٥٠] الذي ﴿ له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير ﴾ [الحديد : ٢] ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ [الملك :١] ﴿ الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ [الشعراء : ٧٨ - ٨٢] الذي يعطي ويمنع ، ويضر وينفع ، ويخفض ويرفع، ويعز ويذل بعدله وفضله وحكمته لا لأجل أحد من خلقه أجمع ، بل ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ [الجمعة : ٤] ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيد الخير إنك على شيء قدير ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

---

(١) العقيم : التي لا تلد ، وكذلك رجل عقيم إذا كان لا يولد له اهـ . نسفي .

وأشهد أن لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له القائل لنبيه : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إنْ أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، والقائل له : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨] والقائل له : ﴿ قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا ﴾ [الجن : ٢١ - ٢٢] والقائل ﴿ قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليًا ولا نصيرًا ﴾ [الأحزاب : ١٧] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله القائل : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن

يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف ».والقائل : « يا أبا بكر لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله عز وجل » .

اللهم صلِّ وسلم عليه ، وعلى آله ، وصحبه ، وكل عبد اتبع سنته واقتفى أثره وناصره ووالاه .

أما بعد : فهذه رسالة القول الجلي ، في حكم التوسل بالنبي والولي ، كتبها في غاية العجالة والاختصار ، راجي اللحوق بالمتقين الأخيار : محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام ، إلى كافة من اطلع عليها من أهل الإسلام ، أنار الله قلوبنا وقلوبهم بنور العلم والإيمان ، وجعلنا وإياهم ممن اتبع الحق وهدى إليه ونصر السنة والقرآن ، وأعاذنا وإياهم من زيغ القلوب ونزغات الشيطان ، ومن الوسائل المحدثة المقربة من النيران ، ومن الشرك بعبادة الرحمن ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :

فاعلموا إخواني أن التوسل في القرآن العظيم ، وفي كلام السيد المعصوم الأمين وعند العلماء اللُّغويين ، والمحدِّثين والمفسرين ، إنما هو التقرب إلى الله رب العالمين ، بما شرعه على لسان سيد النبيين ، وإليك نصوصَهم في ذلك أجمعين .

قال في القاموس في مادة (وسل) : الوسيلة والواسلة المنزلة عند الملك والدرجة والقربة ، ووسل إلى الله تعالى توسيلًا عمل عملًا تقرب به إليه اهـ .

وقال في المصباح المنير في مادة (وسل) : وسلت إلى الله بالعمل أسل من باب وعد ، رغبت وتقربت ، ومنه اشتقاق الوسيلة وهي ما يتقرب به إلى الشيء – إلى أن قال : وتوسل إلى ربه بوسيلة تقرب إليه بعمل اهـ .

وقال في نهاية ابن الأثير (وسل) في حديث الأذان : « اللهم آتِ محمدًا الوسيلة » هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به – إلى أن قال :

والمراد به في الحديث : القرب من الله تعالى[1] اهـ .

وقال في الدر النثير : الوسيلة ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به ، والجمع وسائل اهـ .

وفي مفردات الراغب الأصفهاني في « وسل » : الوسيلة التوسل إلى الشيء برغبة – إلى أن قال : ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ حقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة اهـ .

وقال الإمام الطبري في تفسيره ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ [المائدة : ٣٥] يقول : واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه ، والوسيلة : هي الفعيلة من قول القائل : توسلت إلى فلان بكذا بمعنى تقربت إليه ، ومنه قول عنترة :

إن الرجال لهم إليك وسيلة   إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

(١) تمام عبارة ابن الأثير (وقيل هي الشفاعة يوم القيامة ، وقيل هي منزلة من منازل الجنة كذا جاء في الحديث) اهـ . الأنصاري .

يعني بالوسيلة القربة ، ثم قال : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل - وساق أقوالهم وبينها قولًا قولًا « حاصلها » : أن الوسيلة هي التقرب إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه اهـ .

فصل

أما توسل الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد روى الشيخان : أن رجلًا دخل المسجد والرسول قائم يخطب فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله أن يغيثنا ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال : « اللهم أغثنا » ثلاثًا ؛ فأمطرت السماء أسبوعًا - ثم دخل الرجل في الجمعة المقبلة ورسول الله قائم يخطب ، فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل[1] فادع الله أن يمسكها عنا ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال :

(١) يعني : من شدة المطر .

« اللهم حوالينا ولا علينا » إلخ الحديث . قال : فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس .

(توسل الأعمى) وجاء رجل ضرير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا ذهاب بصره ، فقال له رسول الله : « ألا تصبر ؟ فقال : يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق عليّ [1] ، فقال له : إنْ شئتَ أخَّرتَ ذلك فهو خير لك ، وإنْ شئتَ دعوتُ . قال : فادعه . قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعوا بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك [2] نبي الرحمة ، يا محمد يا رسول الله إني أتوجه بك[3] إلى ربي في حاجتي هذه

---

(١) ليس عند الترمذي قوله : « يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق عليّ » وإنما هو عند الحاكم والبيهقي كما في القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية اهـ الأنصاري .

(٢) أي بدعاء نبيك ، إذ التوسل بالذوات ممنوع شرعًا . ولذا قال العلامة العزيزي في شرحه على هذا الحديث : سأل أولًا أن يأذن الله لنبيه أن يشفع له ، ثم أقبل على النبي ﷺ ملتمسًا أن يشفع له ثم كر مقبلًا على الله أن يقبل شفاعته قائلًا : فشفعه فيّ اهـ .

(٣) أي بدعائك لي .

لتقضى اللهم فشفعه فيَّ وشفعني فى نفسي[1] فرد الله عليه بصره . رواه الترمذي بسند صحيح غريب انفرد به أبو جعفر فإن كان غير الخطمي [2] فهو ضعيف .

فصل

وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقد كانت الصحابة إذا أهمَّهم أمر أو نابتهم نائبة ذهبوا إلى خيارهم وأفاضلهم يتوسلون إلى الله بدعائهم وشفاعتهم ، كما روى البخاري أن عمر رضي الله عنه كان إذا قُحطوا استسقى بالعباس فقال : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا [3] صلى الله عليه وسلم فتسقينا . وإنا نتوسل

---

(١) ليس عند الترمذي قوله « وشفعني في نفسي » وإنما ورد عند البيهقي والحاكم من طريق غريب كما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدته الجليلة في التوسل والوسيلة وذكر فيها ما يدل على أن هذا اللفظ لم يثبت عنده كونه محفوظًا . الأنصاري .

(٢) وقع في الترمذي أنه غير الخطمي وعلق شيخ الإسلام ابن تيمية في « التوسل والوسيلة » على ذلك بقوله : « هكذا وقع في الترمذي ، وسائر العلماء قالوا : هو أبو جعفر الخطمي وهو الصواب » الأنصاري .

(٣) أي بدعاء نبينا .

إليك بعم نبينا فاسقنا . فيسقون » . قالوا : وكان من دعاء العباس : « اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يُكشف إلا بتوبة ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث فأرخت السماء أمثال الجبال اهـ . من شرح البخاري .

فصل

ومن هذا توسل أصحاب الغار ، روى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق [1] قبلهما أهلًا ولا مالًا

---

(١) أغبق : بفتح الهمزة وكسر الباء وقيل بضمها : الغبوق هو الذي يشرب بالعشي . ومعناه كنت لا أقدم عليهما في شرب اللبن أهلًا ولا غيرهم .

فنأى[1] بي طلب شجر يومًا فلم أُرح [2] عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا ، فلبثت [3] والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون [4] عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة . فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : قال الآخر : اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ فراودتها عن نفسها فامتنعتْ حتى ألمتْ [5] بها سَنَة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى قدرت عليها . وفي

---

(١) فنأى : أي بعد .

(٢) أرح - بضم الهمزة وكسر الراء - أي لم أردّ الماشية عن المرعى إليهما حتى ناما .

(٣) فلبثت : أي فمكثت واقفًا . والقدح : الإناء الذي يشرب فيه .

(٤) يتضاغون : أي يصيحون من الجوع .

(٥) ألمت : أي نزلت بها سنة مقحطة .

لفظ : حتى وقعت بين رجليها . قالت : يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه . فقمت عنها ، فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فُرجة. ففُرج لهم ، وقال الآخر : اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفَرْق [1] أرز فلما قضى عمله قال : أعطني حقي . فعرضت له فرقه فرغب عنه [2] فلم أزل أزرعه حتى جمعت بقرًا ورعاءها ، فجاءني بعد حين فقلت : كل ما ترى من البقر ورعاءها من أجرك . فقال : اتق الله ولا تستهزئ . فقلت : إني لا أستهزئ بك ، خذ ذلك البقر ورعاءها . فأخذه فذهب به ، فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي . ففرج الله ما بقي فخرجوا يمشون » .

وكذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : « اللهم أمرتني فأطعتُ ، ودعوتني فأجبت ، وهذا سَحَر

---

(١) الفرق : مكيال معروف بالمدينة ، وهو ستة عشر رطلًا ، وعينه ساكنة وقد تحرك اهـ مختار .

(٢) رغب عنه : أي أبى أن يأخذه .

فاغفر لي » ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية .

وكذا ما روي عن أبي بكر ابن أبي الدنيا [1] بسنده عن ثابت عن أنس قال : « دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل ، فلم نبرح حتى قُبض ، فبسطنا عليه ثوبه وله أم عجوز كبيرة عند رأسه ، فالتفت إليها بعضنا وقال : يا هذه احتسبي [2] مصيبتك عند الله ، قالت : وما ذاك ؟ مات ابني ؟ قلنا : نعم . قالت : أحق ما تقولون ؟ قلنا : نعم . فمدت يدها إلى الله فقالت : اللهم إنك تعلم أني أسلمتُ وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تعقبني عندكل شدة فرجًا . فلا تحمل عليّ هذه المصيبة اليوم ، قال : فكشفتُ الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا معه » .

---

(١) هو عنده في كتاب « من عاش بعد الموت » (رقم ١) ط مكتبة السنة ، و« مجابي الدعوة » (٤٦) [الناشر] .

(٢) احتسبي : أي اعتدى مصيبتك في جملة بلايا الله التي يثاب على الصبر عليها اهـ النهاية .

إذا علمت هذا كله « فاعلم » أن التوسل المشروع الذي شرعه الله على لسان نبيه المتبوع ، إنما هو التقرب إلى الله تعالى بما شرعه على لسان نبيه ﷺ من علم أو عمل قلبي أو بدني ، أو ترك وكف عن عمل محظور فيدخل فيه جميع الطاعات ، وترك جميع المعاصي امتثالاً لأمر الشارع ، ومن أعظم الطاعات : دعاء الله تعالى ، والتضرع إليه بالأدعية المأثورة ، وذكره بآياته وكلماته وصفاته ، وسواء كان هذا الدعاء من الداعي نفسه لنفسه أو لغيره ، من الوالدين والأقربين والإخوان وسائر المسلمين ، فلا مانع منه (1) ومنه سؤال الله تعالى بصالح الأعمال : كالتوحيد ، والإيمان ، والصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، وحسن المعاملة ، وحسن المجاورة ، وحسن الخلق ، وبر الوالدين ، والجهاد في

---

(1) ورد في الحديث « أعظم الدعاء إجابة : دعاء غائب لغائب » وروى مسلم عنه ﷺ « ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوة ، إلا وكّل الله ملكًا كلما دعا لأخيه بدعوة ، قال الملك الموكل به : آمين ولك مثله .

الطاعات ، والعمل على ما يرضي بارئ الأرض والسموات ، والإكثار من ذكر الله ، والحب في الله ، والبغض في الله ، والنصيحة لله ولرسوله ، وإحياء السنة ، وهدم منار البدعة ، وترك التقليد ، واتباع آثار السلف ، واجتناب آراء الخلف ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخوف الله في السر والعلانية ، والكرم والسخاء ، والأناة ، والحلم ، والحياء ، والتقرب إليه تعالى بكل عمل صالح مشروع ، وترك كل مذموم محدث ممنوع ، وغير ذلك من الطاعات والقربات ، كما جاء ذلك صريحًا في الآيات البينات ، عمن ارتضاهم رب الكائنات ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا * ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾ [آل عمران : ١٩٢] ﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا

ذنوبنا وقنا عذاب النار ﴾ [آل عمران : ١٦] ﴿ إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾ [المؤمنون : ١٠٩] .

إذا اتضح لك ما تقدم ، علمت أنه من الجائز لك شرعًا أن تقول في توسلك : اللهم إني أسألك وأتوسل إليك ، بأنك أنت الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، أن تفعل بي كذا وكذا ، أو : اللهم إني أتوسل إليك بالقرآن العظيم وبأسمائك الحسنى ، وصفاتك العليا : أن تفعل بي كذا . أو : اللهم إني أتوسل إليك بإيماني بسائر الأنبياء والمرسلين . أو : بإيماني واقتدائي وطاعتي ومحبتي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أن تفعل بي كذا . أو : أتوسل إليك باقتدائي بالخلفاء الراشدين ، والصحابة الهادين المهديين ، ومحبتي لجميع عبادك الصالحين ، وآل بيت نبيك الطاهرين ، أن تفعل بي كذا . ولك أيضًا أن تقول : أتوسل إليك بحبي في عبدك فلان الصالح المطيع لك ، وببغضي في عبدك

فلان العاصي لأوامرك ، وأتوسل إليك ببغضي وكراهيتي للكفر والكافرين بك ، وبما أنزلت على رسولك ، والعاصين لأوامرك ونواهيك أن تفعل بي كذا . وهلم جرا .

لكن يشترط في هذا كله : أن يكون قائله صادقًا فيه ، غير مدّع ولا مغرور ، كما كان حال أصحاب الغار الثلاثة المتقدم ذكرهم .

فصل

« وأما التوسل » الواقع من بعض العوام ، بسؤاله تعالى بأشخاص الأنبياء والأولياء والصالحين ، مما لا يُعَدُّ قربة ولا وسيلة لهم إلى الله ، لأنه لا عمل لهم فيه ، فإنه بدع من القول وزور ، وضلال من اللعين وغرور ، وهو قطعًا غير مشروع ، بل هو من عمل المشركين الذي سرى إلى بعض المسلمين من أهل الكتاب كما

سرى إليهم من الوثنيين ، وذلك كقولهم : أسألك بحق النبي عليك [1] ، بحق قبره المعظم أو قبته عليك ، أو بجاهه أو بركته عليك يـا نبي الله ، سقتك على ربك ، أو يـا سيدنا الحسين ، أو يـا ست يـا أم هاشـم ، أو يا بدوي ، أو يا متبولي ، سقتك على جدك ، وسقت جدك على ربك ، يا سيدي فلانًا أغثني ، أو أنا أستجير بك ، أو أستغيث بك ، أو انصرني على عدوي ، وعلى من ظلمني ، وأعظم من ذلك أن يقول : اغفر لي وتب علي ، كما يفعله طائفة من الجهال المشركين ، وأعظم من ذلك أن يسجد لقبره ، ويصلي إليه ، ويرى الصلاة إليه أفضل من استقبال القبلة ، حتى يقول بعضهم : هذه قبلة الخواص ، والكعبة قبلة العوام ، وكذا قولهم : يا آل بيت النبي ، نظرة إلينا بعين الرضا ، مدد

---

(١) سيذكر المؤلف في القسم الثالث من أقسام التوسل قول الإمام أبي حنيفة في قول الشخص أسألك بحق فلان وبحق أنبيائك ورسولك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام وهو المعتبر . الأنصاري

يا أهل الله ، يا رجال الله ، العارف لا يُعرَّف ، والشكوى لأهل البصيرة عيب ، خذوا بالكم معنا راعونا يا أسيادي ، نحن في حسبكم نحن في جيرتكم أحلتكم على كل من ظلمنا وجار علينا تصرفوا فيه ، بينوا لي سريعًا فيه . وكذا قول بعض أرباب العمائم :

يا آل طـه عليكم حمـلتي حسبـت
إن الضعيف على الأجواد محمول

يا سادتي من أمكم لرغبة فيكم جبر
ومـن تـكونـوا نـاصـريه ينتصر

يا ابـن بنت الـرسول أنـت جـواد
والتـجـأنـا إلـى حـمـاك المنيـع

سـاءنـا الـدهر بالخـطوب فـجـئـنا
نرتـجي مـن عطاك حسن الصنيع

ومـن تـكن برسول الله نصـرته
إن تلقه الأسد في آجـامها تـجم[1]

(١) الأجمة : الشجر الملتف ، وأجم مثل قصب وقصبة . الآجام جمع الجمع، =

أو : بالسيد البدوي أحمد ذخرنا

غوث الورى وهو المجير من العطب

يـا كعبـة الأسـرار أنت غياثنا

يا كاشف الكربات يا شيخ العرب

أو كقول بعضهم في صورة شكواه التي رفعها لأحمد البدوي بعد كلام شنيع قدمه :

فجئنا حماكم نرفع الأمر سيدي ونطلب دين الله والله ناصـر

وأنـت إمـام الأوليـاء ولامرا وأنت غياث الملتجا وهو حائر

إلى أن قال :

فها قد بسطنا بعض شأن نريده وثَمَّ أمور قد حوتها الضمـائر

فمنها دخولي في البقا وهدايتي لأقوم طرق الله وهي المفاخر

وصـحة جسم للـذين أحبهم كذلك في العز والعمر وافـر

ونصري على الأعدا وجاه مؤيد وفـوز مبين دائـم يتـقاطـر

= وتجم : قال في المصباح : وجم من الأمر يجم وجومًا - أمسك عنه وهو كاره اهـ .

إلى أن قال :

فقل يا طويل الباع ها قد أجبتكم
بكـل الـذي ترجـون والـلـه جـابر

كل هذا مما يعلم الله ورسوله وأهل التوحيد الخالص أنه عين الشرك والكفر وعين المحادة لله ولرسوله ، فلا حياهم الله ولا بياهم ولا جزاهم خيرًا ولا رضي عنهم حتى يتوبوا ويتبرءوا ويعرفوا لله حقه ،وهذا منهم هو بعينه كقول وفعل الذين قال الله تعالى فيهم[1] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [يونس : ١٨] والذين قال الله فيهم[2] : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب

---

(١) عبارة قال الله تعالى فيهم زدناها لاقتضاء المقام ذلك وكذلك زدنا قبل الآيات الآتية الألفاظ المناسبة للمقام . الأنصاري .

(٢) في الأصل (والذين قالوا ، ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه) الآية . والصواب ما أثبتناه . الأنصاري .

كفار ﴾ [الزمر : ٣] فإنا لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

عباد الله قال الله تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ﴾ [الأعراف : ١٩٧] وقال : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة [١] أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورًا [٢] ﴾ [الإسراء : ٥٦ - ٥٧] وقال : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾ [سبأ : ٢٢] .

عباد الله يقول الله تعالى : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ٨٠] ﴿ أن دعوا للرحمن ولدًا *

(١) الوسيلة : القربة .
(٢) أي : حَقِيقًا بأن يحذره كل أحد .

وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتِ الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدَّهم عدًّا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا ﴾ [مريم : ٩١ - ٩٥] .

أما سمعتم قول الله لنبيه : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [الشعراء : ١٦٤] وأنه صلى الله عليه وسلم قام فقال : « يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب ، يا عباس بن عبد المطلب ، يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم من الله فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا – وفي رواية – أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئًا » رواه مسلم ، وأنه لم يتمكن من الاستغفار لأمه وقال : « استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذِن لي » رواه مسلم .

وقوله له : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير

وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ [الأعراف : ١٨٨] وقوله : ﴿ قل إني لا أملك لكم ضرًّا ولا رشدًا * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا [(١)] ﴾ [الجن : ٢١ -٢٢] وقوله : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين [(٢)] * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ [الحاقة : ٤٤ - ٤٧] وقوله له : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

أما قرأتم قول الله سبحانه في عبده [(٣)] ونبيه نوح عليه السلام : ﴿ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من

(١) ملتحدا : أي ملجا ألجأ إليه .

(٢) الوتين : نياط القلب ، وقيل : حبل الظهر ، وقيل : عِرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه .

(٣) في الأصل (حكاية عن عبده) وهو خطأ إذ ليس قوله تعالى : (ونادى نوح ربه) كلامًا لنوح عليه السلام حتى يقال إن الله حكاه عنه ولذلك أثبتنا (في) بدل عبارة « حكاية عن » لتستقيم العبارة . الأنصاري .

أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ [هود : ٤٥ - ٤٦] فسيد الرسل وسيد ولد آدم وأول شفيع في الجنة الذي يكون شهيدًا على جميع الأمم ، ويكون آدم ومن دونه من الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة مع عظم جاهه ورفعة درجته وجليل قدره عند ربه ، لم يغن عن أقاربه ولم يملك لهم من الله شيئًا ، بل لما هَمَّ ﷺ بالاستغفار لعمه أبي طالب أنزل الله عليه ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحابُ الجحيم ﴾ [التوبة : ١١٣] وأنزل الله ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ [القصص : ٥٦] .

وكذلك أبو الأنبياء نوح عليه السلام لم يتمكن من

التشفع لولده وفلذة كبده [1] ، بل نهاه الله وزجره وهدده ومنعه أن يقول : ﴿ رب إن ابني من أهلي [2]﴾ [هود : ٤٥] وما ذاك إلا لكون ولده كان عاصيًا لله ورسوله ، فمن أطاع الله قربه إليه ومن عصاه سخط عليه ، ومن ذلك ما حكى الله عن امرأة فرعون ﴿ إذ قالت رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ [التحريم : ١١] فأجاب الله دعاءها ولم يضرها بطغيان وكفران زوجها ، وكما حكى عن امرأة نوح وامرأة لوط إذ قال تعالى : ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ [التحريم : ١٠] .

وكذلك الخليل إبراهيم عليه السلام قال لأبيه :

---

(١) الفلذة : القطعة من الشئ ، والجمع فلذ . اهـ مصباح .

(٢) في الأصل أن يقول (ونادى نوح ربه قال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) ولا يخفى أن المنهي عنه هو قوله (رب إن ابني من أهلي) ولذلك اختصرنا عليه . الأنصاري .

﴿لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء﴾ [الممتحنة: ٤] وقال تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾ [التوبة: ١١٤] وهكذا يكون عدل الله سبحانه ومساواته بين أكابر عباده وأصاغرهم .

ثم إن ههنا نكتة لطيفة ينبغي التفطن لها وهي : إذا كان هذا فعل الله سبحانه بأقرب الناس إلى أنبيائه الذين هم أعظم وأفضل وأكرم خلقه في حال حياتهم ، فكيف تكون الحال مع غير أقاربهم بعد وفاتهم ؟ وكيف بمن دونهم بمراحل من الأولياء ، كالبدوي ، والمتبولي ، والدسوقي ، والبيومي ، والصاوي وغيرهم ؟ لا شك أن هذا ممنوع غير مشروع .

والقرآن العظيم ، والذكر الحكيم ، المنزل من لدن عزيز عليم ، ناطق في غير موضع بأن الإنسان لا يجازى إلا بما قدمت يداه من خير أو شر ، فلا صالح ولا سيىء عمل الآباء ينفع أو يضر الأبناء ولا

العكس اللهم إلا ما استثني بالنص (١) قال تعالى : ﴿قل أغير الله أبغي ربًا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى (٢) ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [الأنعام : ١٦٤] وقال عز ذكره : ﴿من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت : ٤١] وقال عز شأنه : ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وَفَّى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ [النجم : ٣٦ : ٤١] وقال جل علاه : ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ [المزمل : ٢٠] وقال

---

(١) كدعاء الإنسان لوالديه وإخوانه الأحياء منهم والأموات وكذا الصدقات.
* وكقوله تعالى : ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ...﴾ الآية [الطور : ٢١] وقوله : ﴿... وكان أبوهما صالحًا﴾ الآية [الكهف : ٨٢] [الناشر] .

(٢) « ولا تكسب كل نفس » أي من الذنوب (إلا عليها) عقوبة ذلك (ولا تزر وازرة وزر أخرى) يعني لا تؤاخذ نفس آثمة بإثم أخرى ، ولا يؤاخذ أحد بذنب آخر . الأنصاري .

سبحانه : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرًا يره ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨] .

يفهم من هذه الآيات أن الأمر ليس بالأماني كما قال الله تعالى [١] : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرًا [٢] ﴾ [النساء : ١٢٣ - ١٢٤] فالذين آمنوا واستقاموا على الطريقة وعملوا الصالحات وجاهدوا وسارعوا في الخيرات بما يرضي بارئ الأرض والسموات ، لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ويقال لهم في الجنة : ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ [الحاقة : ٢٤] ، ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما

---

(١) في الأصل يفهم من هذه الآيات أن (ليس بأمانيكم) ولا يخفى ما في هذا التصرف ولذلك زدنا ما بين أن وبين (ليس) في قوله تعالى : (ليس بأمانيكم) الآية . الأنصاري .

(٢) النقير : نقرة في ظهر النواة .

كنتم تعملون ﴾ [المرسلات : ٤٣] وتحييهم الملائكة ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعمى عقبى الدار ﴾ [الرعد : ٢٤] ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ [الزمر : ٧٣] .

والذين اجترحوا السيئات [١] وسعوا في الأرض بالفساد وعملوا ما لا يرضي رب السموات ، قال الله فيهم [٢] : ﴿ إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ [طه : ٧٤] وقال : ﴿ إن المجرمين في ضلال وسُعُر [٣] * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ﴾ [القمر : ٤٧ - ٤٨] وقال : ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ [الرحمن : ٤١] وقال : ﴿ يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه *

(١) اجترحوا : كسبوا .
(٢) لم يذكر المؤلف قول الله تعالى في الذين اجترحوا السيئات (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) الآية لم يذكره مع تلك الآيات التي سردها ويظهر من ذلك أنه لم يستحضره وقت الكتابة ، الأنصاري .
(٣) سعر : أي نيران .

وفصيلته [1] التي تؤويه * ومن في الأرض جميعًا ثم ينجيه ﴾ [المعارج : ١١- ١٤] فيكون الجواب له ﴿ كلا إنها لظى * نزاعة للشوى [2] ﴾ [المعارج : ١٥ - ١٦] وقال :﴿إن شجرت الزقوم[3] طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ [الدخان : ٤٣- ٤٩] ويقال لهم : ﴿ كلوا وتمتعوا قليلًا إنكم مجرمون ﴾ [المرسلات : ٤٦] .

فالعاقل الفطن من تدبر وعقل معنى قوله تعالى : ﴿قد أفلح من تزكى[4] * وذكر اسم ربه فصلى ﴾ [الأعلى : ١٤-١٥] وقوله : ﴿ قد أفلح من زكاها[5] وقد

---

(١) فصيلته : عشيرته .

(٢) لظى : اسم من أسماء النار . والشوى : الأطراف كاليدين والرجلين : وقيل غير ذلك .

(٣) شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم . والمهل : كدردي الزيت الأسود ، فاعتلوه أي ادفعوه . الحميم : الماء الحار إذا اشتد غليانه .

(٤) تطهر من الكفر ومعاصي الله وعمل ما أمر الله به فأدى فرائضه .

(٥) أي طهرها من المعاصي وأصلحها بالصالحات من الأعمال ، وقد خاب من =

خاب من دساها ﴾ [الشمس : ٩-١٠] وقوله : ﴿ أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون * أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلًا بما كانوا يعملون * وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ [السجدة ١٨ - ٢٠] .

إذا تبين لك هذا وفهمته ، فاعلم أن التجاءك ونداءك ودعاءك غير الله ضرر عليك عظيم ، وخطر جسيم ، وفيك وفي أمثالك يقول القرآن الحكيم : ﴿ يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد * يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ [الحج : ١٢-١٣] .

فيا علماء الدين ، ويا أئمة المؤمنين ، ويا ملوك المسلمين أي رُزْء [١] للإسلام أشد من الكفر ؟ وأي

= دساها : أي خابت وخسرت نفس أضلها الله وأفسدها .

(١) الرزء - بضم الراء - : الرزية والمصيبة .

منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبًا ؟ ﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ [المائدة : ٧٢] ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق [١] ﴾ [الحج : ٢٢] « إخواني » اذكروا قول الله لنبيه ﴿ لا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا مخذولاً [٢] ﴾ [الإسراء : ٢٢] ﴿ ولا تجعل مع الله إلهًا آخر فتلقى في جهنم ملومًا مدحورًا [٣] ﴾ [الإسراء : ٢٩] ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ [الزمر : ٦٥ - ٦٦] .

« وخلاصة القول الجلي » : أن التوسل ينقسم إلى

(١) السحيق : البعيد .
(٢) مذمومًا : أي من غير حمد . مخذولًا : أي بغير ناصر اهـ خازن .
(٣) ملومًا : تلوم نفسك . مدحورًا : مبعدًا من رحمة الله اهـ بيضاوي .

خمسة أقسام :

الأول : ما قدمناه لك في أول الكتاب ، وهو التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله وبما شرعه في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من الطاعات ، والأعمال الصالحات ، وتحريم المعاصي ، وهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به .

الثاني : التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته ، وهذا يكون في حياته بطلبنا الدعاء منه ، أو دعائه بدون طلب ويكون يوم القيامة بما ورد من طلب الناس منه أن يشفع لهم فيجيب ، ويدعو فيجاب .

الثالث : التوسل بحق النبي أو الولي ، أو بجاهه أو بركته أو بحق قبره أو قبته ، وهذا مذموم منهي عنه محرم بلا نزاع .

قال شارح الإحياء وغيره : وكره أبو حنيفة وصاحباه أن يقول الرجل : أسألك بحق فلان ، أو بحق أنبيائك

ورسلك ، أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام [1] ، ونحو ذلك ، إذ ليس لأحد على الله حق ، وفي متون الحنفية : إن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والرسل ، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم اهـ .

الرابع : أن يقال للميت من الأنبياء أو الصالحين ، ادع الله لي ، أو سله ، أو سقتك على فلان ، وسقت فلانًا على الله في كذا وكذا ، كل هذا مما لا يشك عالم بشريعتنا المطهرة أنه قطعًا من البدع المحرمة ، التي لا يشهد لها كتاب ولا سنة ، وهي تجر صاحبها شيئًا فشيئًا إلى نداء ودعاء صاحب القبر نفسه ، فيكفر والعياذ بالله .

والخامس : النداء والاستغاثة بغير الله ، كأن يقول : يا سيدي فلان أغثني ، أدركني ، انصرني على عدوي ، أو على من ظلمني ، مدد يا سيدي ، شيء لله يا أهل الله ،

---

(١) المشعر الحرام : جبل بآخر مزدلفة واسمه قزح ، وميمه مفتوحة على المشهور اهـ مصباح .

نظرة إلينا بعين الرضا ، فهذا شرك وكفر بالله تعالى « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم ، اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبته لي » .

فصل

وحديث « توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم » أو « إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم » مكذوب مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس له أصل قطعًا في كتاب من الكتب المعتمدة ، ومثله حديث : « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور - أو - فاستغيثوا بأهل القبور » موضوع مختلق لم يروه أحد من العلماء ، ولم يوجد في شيء من كتب الدين الصحيحة كما قاله شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم في غيرِ موضع . وكذا حديث : « إن الله تعالى يوكل ملكًا على قبر كل

وليّ يقضي حوائج الناس » من أفرى الفِرَى ، وأكذب الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا « الحكاية » المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر .

فإياك إياك « يا ابن الإسلام » أن تغتر بمثل هذه التُّرهات وتوكل على الحي الذي لا يموت فإنه قال : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ [الطلاق : ٣] ولا تناد إلا الله ، ولا تلجأ إلا إلى الله ، ولا تستنجد ولا تستغيث إلا بالله ، ولا تدع مع الله أحدًا .

واعلم أن الله أقرب إليك ممن تدعوهم ولا يستجيبون لك بشيء ، وتنبه لقول ربك : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر : ٦٠] .

أخي ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله

واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على ضرك أو نفعك

– لا يضرونك ولا ينفعونك إلا بما كتبه الله لك أو عليك .

أخي ، قل « يا أرحم الراحمين ثلاثًا » بدل قولك : يا رسول الله ، أو يا سيدنا الحسين ، أو يا شيخ العرب ، فقد ورد أن من قالها : « قال له الملك الموكل إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل » قل : « يا ذا الجلال والإكرام » فقد ورد « أَلِظُّوا [1] بياذا الجلال والإكرام » بدل قولك – يا أم العواجز يا ست – يا حامي طنطا يا سيد – يا حامي القنديل يا أبا العلا – قل يا رب العالمين ، قل يا حي يا قيوم ، قل يا أكرم الأكرمين ، قل يا بديع السموات والأرض ، قل يا علام الغيوب ، قل يا خير المسئولين عند قيامك وقعودك وشدتك ورخائك بدل قولك يا سيدى فلانًا ويا سيدتي فلانة ﴿ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ [الأنعام : ٩١] ﴿ لا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا مخذولًا ﴾

(١) أي ألحوا في دعائكم .

[الإسراء : ٢٢] ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين ﴾ [يونس : ١٠٦] .

فصل

روى عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال : عجبت لمن بلي بالضر كيف يذهل [١] عنه أن يقول ﴿أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين [٢] ﴾ والله تعالى يقول : ﴿ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ [الأنبياء : ٨٤] وعجبت لمن بلي بالغم كيف يذهل عنه أن يقول : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ ؟ [الأنبياء : ٨٧] .

---

(١) الذهول : النسيان والغفلة .

(٢) في الأصل (أن يقول « وأيوب إذ نادى ربه رب أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين » والصواب ما أثبتناه وهو الموافق لما في كتاب السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للمؤلف ثم إن زيادة « رب » في الآية التي ذكرها المؤلف مخالفة للتلاوة ـــ الأنصاري .

والله تعالى يقول : ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ [الأنبياء : ٨٨] وعجبت لمن خاف شيئًا كيف يذهل عنه أن يقول : ﴿ حسبي الله ونعم الوكيل ﴾ ؟ والله تعالى يقول ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ [آل عمران : ١٧٤] وعجبت لمن كويد في أمر كيف يذهل عنه أن يقول : ﴿ وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ [غافر : ٤٤] والله تعالى يقول : ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴾ [غافر :٤٥] وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة وخاف زوالها كيف يذهل عنه أن يقول : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله [1] ﴾ [الكهف : ٣٩] اهـ . من شرح الإحياء .

---

(١) كذا في الأصل والصواب (كيف يذهل عنه أن يقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، والله تعالى يقول (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) . الأنصاري .

فعليك أيها الأخ المسلم بهذه الأدعية القرآنية ، وكذا الأدعية النبوية ، فإنها لا يعادلها دعاء ، ولا يسابقها ولا يحجبها عن الله حجاب قل : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ [آل عمران : ١٩٣ - ١٩٤] ﴿ والذين يقولون [١] ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] ﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا [٢] ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [البقرة : ٢٥٠]

---

(١) يقتضي قول المؤلف قبل ذكر هذه الأدعية (قل) الاكتفاء بذكر (ربنا هب لنا من أزواجنا) إلى آخر الدعاء لأن قول الله : (والذين يقولون) ليس مما يدعو به الداعي . الأنصاري .

(٢) يقتضي المقام الاكتفاء بذكر (ربنا أفرغ علينا صبرًا) إلى آخر الدعاء لأن قول الله : ﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ﴾ ليس مما يذكره الداعي في دعائه . الأنصاري .

﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران : ٨] ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدًا ﴾ [الكهف : ١٠] ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ [الحشر : ١٠] ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾ [التحريم : ٨] ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ [الممتحنة : ٤] ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ [إبراهيم : ٤٠ - ٤١] ﴿ رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي ﴾ [طه : ٢٥ - ٢٨] .

فصل

من الأدعية النبوية : اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمتُ منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمتُ منه وما لم أعلم ؛ اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك . اللهم متعني بسمعي وبصري ، واجعلهما الوارث مني ، وانصرني على من ظلمني ، وخذ منه بثأري . اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع . اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر

منيى . اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب ، وعينى من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

هذا وأمثاله هو الوارد المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير مشهور ، فإن أردت الزيادة ، فعليك بكتب السنة خذه منها واجتهد فيه فإنه مخ العبادة [1] .

---

(١) لو قال : « هو العبادة » كان أولى ، لصحة الحديث بهذا اللفظ دون الأول [الناشر] .

خاتمة في بعض شبه
يحتج بها الجهلاء والمصرحون بالتوسل من أهل العلم

فمن ذلك : احتجاجهم بآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ [المائدة : ٣٥] وهذه الآية لا دليل لهم فيها قطعًا ؛ لأن معنى الوسيلة فيها ، التقرب إلى الله بالطاعات ، والأعمال الصالحات ، كما تقدم لك في أول الرسالة .

ومنه احتجاجهم : بآية ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [يونس : ٦٢] وهي كالتي قبلها لا دليل لهم فيها ، لأن أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان ، وتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة إليه والنصرة لدينه .

قال الإمام الطبري في معنى الآية : ألا إن أنصار الله

لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله ، لأن الله رضي عنهم فآمنهم من عقابه ، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا ، والأولياء : جمع ولي وهو النصير ....إلخ ما قال : فالآية لا تخص جماعة بعينهم ، بل تفيد أن كل عبد اتقى الله ووالى طاعته ، وامتثل أوامره ، واجتنب نواهيه ، لا يخاف إذا خاف الناس ولا يفزع إذا فزع الناس يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة: ٣٨] ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة :٦٢] وقال : ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[الأنعام : ٤٨].

ومنه احتجاجهم : بآية ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾ [الزمر : ٣٤] ونجيبهم بقولنا قال الله تعالى : ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به

أولئك هم المتقون * لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ﴾ [الزمر٣٣ : ٣٤] .

قال أهل التفسير : الذي جاء بالصدق هو النبي صلى الله عليه وسلم وصدَّق به هم المؤمنون ، فالذي بمعنى الذين [(١)] ﴿ أولئك هم المتقون * لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾ [الزمر : ٣٣ - ٣٤] - فالآية - في حق النبي صلى الله عليه وسلم واختار ابن جرير كونها في كل من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسله والعمل بما ابتعث به رسوله صلى الله عليه وسلم اهـ . فالذي يفهم من الآية : هو أن كل من آمن وعمل صالحًا فله في الجنة ما يشاؤه كما قال تعالى : ﴿ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾ [الشورى : ٢٢] .

ومنه احتجاجهم : بآيتي ﴿ أموات بل أحياء ﴾ و

---

(١) وهي قراءة ابن مسعود (والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به) .

﴿ أحياء عند ربهم يرزقون [1] ﴾ ونقول لهم : هاتان الآيتان نزلتا في حق الشهداء كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين * ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٣ - ١٥٤] وقال : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

والمعنى كما في تفسير الطبري وغيره ، قال : يقول تعالى جل ذكره : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على طاعتي في جهاد عدوكم وترك معاصي ، وأداء سائر فرائضي عليكم ، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هو ميت ؛ فإن الميت مِنْ خَلْقي مَنْ سلبته حياتَه وأعدمته حواسه فلا يلتذ لذة ، ولا يدرك نعيمًا فإنّ من قُتل منكم - ومنَ سائر خلقي - في سبيلي أحياء عندي في

(١) كذا في الأصل ولو قال بآية ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ وبآية ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ لو قال هذا كان أوضح . الأنصاري .

حياة ونعيم وعيش هني ورزق سني فرحين بما آتيتهم من فضلي وحبوتهم من كرامتي اهـ . والآية الثانية : تفيد أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش . اهـ طبري .

ومنه آية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

والجواب أن نقول : سبب نزول هذه الآية كما ذكره المفسرون : أن المسلمين كانوا يقولون : راعنا يا رسول الله من المراعاة ، أي ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا ، وكانت هذه اللفظة سبًّا قبيحًا بلغة اليهود ، ومعناها اسمع لا سمعت . وقيل : الراعن عندهم الخطاء ، وقيل : من الرعونة إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانًا قالوا راعنا – يعني أحمق ، فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدًا سرًّا فأعلنوا به الآن ، فكانوا يأتونه ويقولون : راعنا يا محمد ، ويضحكون فيما بينهم ، فسمعها سعد بن معاذ

رضي الله عنه ففطن لها ، وكان يعرف لغتهم فقال لليهود : لئن سمعتها من أحدكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه ، فقالوا : أو لستم تقولونها ؟ فأنزل الله ﴿ لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] فأين حجتكم أيها القبوريون ؟ .

ومنه احتجاجهم : بآية ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ [البقرة : ٨٩] .

والجواب أن نقول : قال إمام المفسرين الطبري : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ يقول : يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب ، يعني بذلك أهل الكتاب . فلما بعث الله محمدًا ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه - إلى أن قال : كانوا يقولون : اللهم ابعث لنا هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم ، فلما بعث الله محمدًا ورأوه من غيرهم كفروا به حسدًا للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله ، فقال الله : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ [البقرة : ٨٩] .

ومنه احتجاجهم : على جواز نداء غير الله والاستغاثة به بحديث : إن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والجواب : أن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته [1] على الذي من عدوه ﴾ [القصص : ١٥] وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره مما يقدر عليه المخلوق ، وإنما ننكر استغاثة العباد بالمقبورين من الصالحين .

وإذا فهمت هذا : فاعلم أنه لا بأس بطلب المعاونة من الإخوان في كل ما يقدرون عليه ، وكذا من المشروع ذهابك إلى بعض الصالحين الأحياء - لا الأموات - لطلب الدعاء منهم ، وأما بعد وفاتهم

(١) شيعة الرجل : أتباعه وأنصاره . اهـ مختار .

فممنوع دعاؤهم والاستغاثة بهم بل المطلوب الدعاء لهم .

ومنه احتجاجهم : بأن هؤلاء الأنبياء ومن دونهم من الأولياء والصالحين الأموات واسطة وسبب بيننا وبين الله في قضاء مصالحنا وجلب منافعنا ودفع مضارنا ؛ لأنا لا نقدر أن نصل إلى الله بغير ذلك .

والجواب عن ذلك : ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته : الواسطة بين الخلق والحق وهو :

الحمد لله رب العالمين . إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة تبلغنا أمر الله ، فهذا حق ، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ، وما أمر به وما نهى عنه ، وما أعده لأوليائه من كرامته ، وما وعد به أعداءه من عذابه ، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، التي تعجز العقول عن معرفتها ، وأمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده .

فهذه الوسائط تطاع وتتبع ويقتدى بها كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ [النساء : ٦٤] وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء : ٨٠] .

وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم : يسألونه ذلك ، ويرجون إليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار .

لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق قال الله : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ... ﴾ [سبأ : ٢٢-٢٣] .

قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا [1] ﴾ [الإسراء : ٥٦ - ٥٧] .

وقالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلًا ، وأنهم يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إلى أن قال : فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات ، فهو كافر بإجماع المسلمين .

قال : ومَنْ سِوىَ الأنبياء من مشايخ العلم والدين

(١) أدى سقوط هذه الآية الكريمة من الأصل إلى إيهام كون تفسيرها للآية التي قبلها . الأنصاري .

فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم ، فقد أصاب في ذلك .

ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجّاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه ، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب . فإن تاب وإلا قتل ، وهؤلاء مشبِّهون لله شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أندادًا .

إلى أن قال : والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه ، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك ، بل هذا دين المشركين عُبَّاد الأوثان . اهـ باختصار .

وكذا احتجاجهم : بحديث : « حياتي خير لكم ومماتي خير لكم » وهذا الحديث ذكره في الجامع الصغير عن الحارث عن أنس وضعفه هو وشارحه ، وذكره بعده أيضًا بلفظ « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتي خيرًا لكم تعرض عليّ أعمالكم . فإن رأيت خيرًا حمدت الله ، وإن رأيت شرًا استغفرت لكم » قال في الجامع وشارحه رواه ابن سعد في طبقاته عن بكر بن عبد الله المزني مرسلًا ورجاله ثقات ، وكذا ذكره الغزالي في الإحياء بهذا النحو . لكن الحافظ العراقي هدمه تهديمًا وحطمه تحطيمًا .فقال رواه البزار من حديث ابن مسعود ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين . فقد ضعفه كثيرون .

وفي رواية الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف اهـ .

قلت : والقاعدة عند المحدثين أنه يجوز العمل

بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ما لم يشتد ضعفه وإلا فلا يجوز إلا مقرونًا بالبيان وهذا الحديث زيادة على أنه سقط منه الصحابي وضعفه الكثيرون فهو معارض بما رواه أحمد والبخاري ومسلم ومالك في موطئه وأبو داود أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا رأيتهم وعرفتهم اختلجوا دوني . فأقول : يا رب أصحابي أصحابي ، فيقال لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ [المائدة : ١١٧] فيقال : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم .

محل الشاهد أن الحديث الشديد الضعف يقول : « تعرض علي أعمالكم » أي هو يعلم ما عليه أمته من خير أو شر والحديث الصحيح يقول : « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » .

وبهذا ينحلّ الإشكال ، ويقفل باب التراشح والجدال والحمد لله على كل حال .

فائدة مهمة جدًّا

أخرج الإمام أحمد عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دخل رجل الجنة في ذباب ودخل النار رجل في ذباب - قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه [1] أحد حتى يقرب إليه شيئًا ، فقالوا لأحدهم : قرّب ولو ذبابًا فقرب ذبابًا فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر : قرّب .قال: ما كنت أقرب لأحد غير الله عز وجل . فضربوا عنقه فدخل الجنة »[*] .

وأخرج الترمذي وصححه عن أبي واقد الليثي قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ونحن حديثو عهد بكفر ، وللمشركين سدرة [2]

(١) جاز الموضع سلكه وسار فيه . يجوز جوازًا . اهـ مختار .

(*) هذا الحديث ليس في المسند ، والصواب فيه الوقف . [الناشر] .

(٢) السدر :شجر النبق .

يعكفون عليها وينوطون بها [1] أسلحتهم يقال لها : « ذات أنواطٍ » فقلنا : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل : ﴿ اجعل لنا إلـهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾ [الأعراف : ١٣٨] لتركبن سنن من كان قبلكم » الحديث .

وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث عمر [2] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » وفي رواية «فقد كفر » .

وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر عنه صلى الله عليه وسلم : « من علق تميمة فقد أشرك » .

---

(١) ينوطون : أي يعلقون .

(٢) كذا في الأصل والصواب ابن عمر كما يعلم من مراجعة الترمذي والحاكم . الأنصاري .

وأخرج الإمام أحمد والحاكم عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد » .

وروى مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركتُه وشِرْكَه » .

وفي سنن أبي داود والترمذي وصححه عن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم: « الطيرة [1] شرك ، الطيرة شرك » .

وللنسائي عن أبي هريرة : « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك » إلخ .

وإذا علمت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر

---

(١) الطيرة شرك هذا صريح في تحريمها ، وأنها من الشرك لاعتقادهم أن الطيرة تجلب نفعًا أو تدفع عنهم ضرًا . وقد ورد في الأثر المرفوع : « من ردته الطيرة فقد قارف الشرك » ومن هؤلاء ناس يمتنعون عن أكل الجبن والسمك في يوم الثلاثاء والأربعاء والسبت تطيرًا وهذا جهل قبيح نعوذ بالله منه .

بدخول مَنْ قرَّب ذبابًا لغير الله النار ، وبأن من طلب شجرة لتعليق سلاحه بها من غير قصد عبادتها بمنزلة الشرك بالله وطلب إلهٍ غيره ، وأن الحلف بغير الله وتعليق شيء للتشفي به وتصديق العراف والكاهن كالرمَّالين وضرابي الودع كفر ، وأن عدم الإخلاص لله في العمل والتطير والسحر شرك بالله العظيم .

فاعلم : أن دعاءك ونداءك غير الله يكون شركًا وكفرًا صريحًا من باب أولى . وكذا استغاثتك والتجاؤك لغيره لا شك عين الكفر والمحادة لله ورسوله ، فافهم ذلك واعمل عليه والله يتولى هدانا وهداك .

وهذا آخر ما تيسر لي ذكره ، وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم - أقول هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

والسلام عليكم أيها الأحبة الموحدون ورحمة الله وبركاته .

الفهرس